



أ. أحمد منغور
(جامعة 20 أوت 1955 - سكيكدة)
Email : menghourahmed@hotmail.com

الملخص

كانت سياسة إدماج الجزائر المستعمرة بفرنسا الاستعمارية إحدى المشاريع التي حاولت الحكومات الفرنسية تطبيقها، ولكن لا توجد أية محاولة جادة لتكريس ذلك على أرض الواقع وذلك بسبب معارضة اللوبي الكولونيالي الذي تشكل بالجزائر، وتحاول هذه الورقة البحث وقياس مدى إصرار الاشتراكيين الفرنسيين بالجزائر لتحقيق هذا المشروع، و هل شكل مادة دسمة لإقناع الناخبين أثناء المواعيد الانتخابية؟ وهذا من خلال بعض النصوص والمقالات الصحفية المختارة من بعض صحف هذه الحركة فيما بين الحربين.

الكلمات المفتاحية: الإدماج، التجنيس، الأهمية الاشتراكية.

Abstract

The policy of integrating Algeria as a colony in colonial France was one of the projects that the French governments tried to implement, however there is no serious attempt to perpetuate it on the ground because of the opposition of the colonial lobby formed in Algeria.

This paper attempts at clarifying and measuring the extent to which the French socialists insisted on achieving. This project, and if it was difficult to convince the electors during the election dates.

This will be highlighted through some texts and press articles selected from some newspapers of the interwar movement.

Keywords : integrating, naturalization, socialist International.

المقدمة:

لقد نبع اختيارنا لهذا الموضوع من فكرة فرضت نفسها علينا خلال إنجاز بحثنا الأكاديمي وهذا من أجل اكتساب خلفية تاريخية عن تطور الاتجاه الاشتراكي بمنطقة الشرق الجزائري قبل الفترة التي نحن بصدد دراستها في أطروحة الدكتوراه (1946-1962)، وهي خلفية لا بد من اكتسابها لفهم مختلف التطورات التي وقعت بعد ذلك. ولهذا صغنا هذا العنوان حيث لاحظنا أن هذه القضية كانت قد أخذت حيزا كبيرا من الاهتمام في أدبيات فيدرالية قسنطينة مع الحركة الكبرى التي شهدتها منطقة الشرق الجزائري خلال مرحلة ما بين الحربين مع جماعة المنتخبين والعلماء والاتجاه الوطني وانعكاسات المؤتمر الإسلامي وغير ذلك، أي أن الموضوع كان قد أسال كثيرا من الخبر.

ولإنجاز هذه الورقة البحثية فإننا اعتمدنا على مجموعة من جرائد حزب SFIO الصادرة بالجزائر العاصمة مثل جريدة **غدا العامل** Demain Le Travailleur أو الصادرة بالشرق مثل جريدة **الشرارة** Etincelle، بالإضافة إلى نشره صوت **المستضعفين** La voix des Humbles لسان حال المدرسين الأهليين. ولإعطاء هذه الفكرة حقها من البحث، فإننا حاولنا التقيد ببعض الحدود لا تخرج عن الإجابة عن مجموعة من التساؤلات أهمها: هل وضعت الفيدرالية لنفسها مشروعا اندماجيا خاصا من أجل تغيير وضعية المسلمين الجزائريين، يختلف عن السياسة العامة للحزب، وآخذا بعين الاعتبار الخصوصيات الفكرية والاقتصادية والسياسية للمنطقة؟ وما هو الخطاب السياسي الصادر عن قيادتها من أجل كسب مناضلين جدد إلى صفها؟ هل رفع فيه شعار الإدماج والتجنيس الموجه للأهالي

المسلمين؟ والإشكالية المركزية هي: هل إمكانية حصول الأهالي الجزائريين على المواطنة الفرنسية يقتضي الإقبال على سياسة الإدماج أو التجنيس أو على كليهما بالنسبة للاشتراكيين بفدرالية قسنطينة؟

ولإجابة عن ذلك، قسمنا هذا العرض إلى عدة عناصر هي: نشأة فيدرالية قسنطينة، ثم حاولنا تتبع حركة الانتشار الجغرافي لهذه الحركة والعوامل التي ساعدتها على إنشاء فروع لها بمنطقة الشرق الجزائري، وبعده حاولنا استعراض مواقف الحزب الاشتراكي عموما من مختلف القضايا المطروحة على الساحة السياسية والمتعلقة بالظاهرة الكولونية فيه، وخاصة المشكلة الأهلية والوضعية السياسية والمدنية للمسلمين الجزائريين.

1- ما المقصود بالإدماج والتجنيس؟

وقبل الشروع في الإحاطة بجوانب الموضوع، نحاول باختصار التعريف بالإدماج والتجنيس المقصود بهما في موضوع الدراسة. حيث يعرف الدكتور تركي رابح الإدماج بأنه: (تركي رابح، 1981، ص 112)

"إذابة الجزائريين في الكيان الفرنسي العامود بالتالي بالنسبة له فهو عبارة عن سلخ واجتثاث الجزائريين من دينهم ولغتهم وجنسياتهم ومن تاريخهم، وإعدادهم من أجل الإلحاق التام للجزائر جغرافيا وبشريا. ومن ذلك فإن الإدماج يتجلى في عدة صور وأشكال، أهمها بالنسبة للجزائر هو الإدماج السياسي، ومعناه جعل الجزائريين يتمتعون بالحقوق السياسية الفرنسية التي يتمتع بها الفرنسيون في بلدهم، ويتلقون التعليم الذي يتلقونه، ويرقون إلى الوظائف العامة بالطرق ذاتها التي تخولها القوانين الفرنسية لمواطنيها، كما أن لهم نفس الامتيازات الاجتماعية وغيرها،

وأما إداريا فهو جعل الجزائر إقليما فرنسيا، وإلغاء كل ما يفصل باريس عن
الجزائر... (تركي رابح، 1981، ص 113)

انطلاقا من ذلك فإن الإدماج والتجنيس المقصود به عند هذه الحركة هو
عبارة عن نشر الحضارة (LAZARD.C, 1924، pp 114-115) والثقافة الفرنسية
في وسط الشعوب المستعمرة وتبني قيمها الفكرية والأخلاقية بهدف تحقيق تجانس
بينهم وبين المجموعات الوافدة إليهم، وعندما يتحقق ذلك يصبح بإمكان الفرد
المندمج الحصول على الجنسية والتمتع بصفة المواطن، وممارسة حقوقه المدنية
والسياسية.

2- تأسيس الفدرالية الاشتراكية لعمالة قسنطينة وصعوبة الإقلاع بعد

الحرب

ظل اشتراكيو عمالة قسنطينة مرتبطين بالفدرالية الجزائرية إلى غاية مؤتمر
العفون المنعقد في 29 سبتمبر 1912، حيث تم الاتفاق على إنشاء فدرالية قسنطينة
التي تأسست رسميا يوم 29 ديسمبر 1912، على إثر مؤتمر تأسيسي تم فيه انتخاب
الأمين العام، ممثلا في شخص كأميل ولوز* **Camille Deleuze**، وضم هذا المؤتمر
التأسيسي ممثلين عن مدن: قسنطينة وفليب فيل وبجاية وبون وسوق اهراس
وسطيف.

كان فرع قسنطينة قبل التأسيس من أنشط الفروع بفضل مجموعة بون
(عناية)، الذي نظم أول الإضرابات بإثارته قضية الوزن سنة 1910، وكان لذلك
صدى كبير في البرلمان الفرنسي. ولكن الحرب أدت إلى تشتت الجميع
(JÜVING.A, 1924، pp 114-115).

بعد الحرب الكبرى الأولى مرت فيدرالية قسنطينة للحزب الاشتراكي S.F.I.O بعدة صعوبات كانت أبرزها ناتجة عما خلفه مؤتمر تور Tours حيث شهدت موجة من الانسحاب لعدد معتبر من المناضلين، وكانت الضربة الموجهة هي انضمام فرع بون (عنابة) إلى الحزب الشيوعي وهو أهم فروع الفدرالية، حيث كان يضم حوالي 80 منخرط. وكان السيد جيوفاني Gioacchino هو الأمين العام لهذا الفرع والذي أنظم بدوره إلى الحزب الشيوعي، ولكن سنة 1922 تم حل الحزب الشيوعي فلم يعد في عنابة لا مجموعة اشتراكية ولا شيوعية، وفي المقابل بقيت شخصية جيوفاكيني على الساحة بسبب ارتباطه بالحركة العمالية النشطة بالمنطقة، حيث قام بإصدار جريدة الشرارة ((L'étincelle في أبريل 1924 والتي أعلنت بأنها جريدة الوحدة العمالية (JÜVING.A, 1924, p115).

وبالتالي فإن الرهان الأول بالنسبة لمسؤولي فيدرالية قسنطينة هو إعادة بناء هياكلها وجمع شمل الأوفياء من منتسبيها، وهو الدور الذي قام به السيد دومينيك سيانفاراني D.Cianfarani الذي استطاع بصعوبة كبيرة إعادة تنظيم فروع الفدرالية في قسنطينة وعنابة (Bône) وبجاية وسطيف وباتنة وغيرها. وبعد مدة قصيرة تم استلام حوالي 210 بطاقة انخراط، وبحلول سنة 1922 تم إحصاء حوالي 440 بطاقة انخراط. (ONASSA.S, 1977, p 267)

3- التوزيع الجغرافي لفروع ونشاط الأمية الاشتراكية بالشرق الجزائري

ما إن حلت سنة 1928 حتى بلغ عدد الفروع النشطة حوالي 14 فرعا متواجدين في مدن: قسنطينة وعنابة (بون) وبجاية وسطيف وباتنة وسكيكدة (Philippeville) وسوق اهراس وتبسة وسدراته وبسكرة وخنشلة وبرج بوعريريج وقلمة وعين البيضاء.

من ذلك يبدو جليا بأن الحركة الاشتراكية أصبحت متواجدة في أغلب مدن الشرق ما عدا جيجل والقالا والقل... وهي المدن التي لم تصلها بعد خطوط السكك الحديدية. وبالتالي فإن هذا الانتشار والتوسع قد اتبع امتداد هذا النوع من النقل البري، مع العلم أن جزء مهم من المناضلين كانوا عمالا في شركة SNCF وينشطون في الفروع النقابية ذات التوجه الاشتراكي، باعتبار أن أغلب المنتسبين إلى الحركة الاشتراكية من العمال والموظفين أو كما يطلق عليهم بالطبقة الوسطى. وعشية انعقاد المؤتمر الفدرالي سنة 1936 نشرت جريدة الشرارة (L'étincelle) في 26 نوفمبر حوصلة عن تطور عدد الفروع وعدد المنخرطين بالأرقام الآتية (ONASSA.S, 1977: p 267): شهر جافني 1928 كان هناك 14 فرعا، شهر جانفي 1934 كان هناك 05 فروع و270 منخرط، شهر أفريل 1936 كان هناك 09 فروع و350 منخرط، شهر أكتوبر 1936 كان هناك 18 فرعا و1050 منخرط.

وعلى الرغم من ذلك فإن المشاكل الخطيرة بقيت تلاحق الفدرالية و كان أختراها الانشقاق الذي وقع سنة 1934 بتأسيس فدرالية الحزب الاشتراكي الفرنسي و الذي عرف باتحاد جون جوراس، و كان بمبادرة أنشط المناضلين في الفدرالية من قسنطينة و سكيكدة و سطيف ... مثل سيانفاراني D.Cianfarani و آلا E. Allard و ميلي C. Millet و ماتيرا Mattera و كاربونال Carbonel الذين عقدوا مؤتمراتهم الفدرالي بقسنطينة في 03 جوان 1934، و جعلوا جريدة الشعب الاشتراكي Le Peuple Socialiste الصادرة بمدينة سكيكدة لسان حال لهذه الفيدرالية. ولم تنظم إليه عناية ولذلك لم تتأثر فدرالية الفرع الفرنسية للأمية

الاشتراكية بقسنطينة كثيرا مثلما كان الحال وبعد الحرب العالمية الأولى. والملاحظ من ذلك كله أن الحركة الاشتراكية قد مرت بفترات صعبة ما بين التراجع والتذبذب.

كما كان للأسباب الاقتصادية والاجتماعية دورا كبيرا في نفور المتعاطفين والمناضلين من حولها، حيث ارتفعت نسبة البطالة وأسعار المواد الاستهلاكية خاصة الغذائية وانتشرت المضاربة في الأسعار وغيرها من العوامل التي جعلت ظروف المعيشة قاسية بالجزائر عموما.

واستمر الوضع إلى غاية 1936 حيث ارتقى فيها التحالف الاشتراكي إلى السلطة، واستطاع الحزب الفوز بعدد كبير من المقاعد في الانتخابات التشريعية لسنة 1936، فاسترجعت فروع الفيدرالية نشاطها وحيويتها وشهدت توافد عدد كبير من المنخرطين فدخلت في مرحلة جديدة جعلت بعض قادتها يطمحون إلى استقطاب 1500 منخرط قبل نهاية السنة، والتي عرفت تأسيس الفرع رقم 23 بمدينة عين مليلة.

لقد أصبحت عملية تنصيب الفروع الجديدة لا تقتصر على المدن الكبرى وإنما اتجهت إلى المدن الناشئة في المراكز الكولونية التي أقيمت حول سهل عنابة مثل الدرعان Mondovi وبوشقوف Duvivier والحجار Duzer-ville وبالقرب من قالة مثل وادي زنائي وسدراته وبالقرب من سكيكدة مثل عزابة Jemmapes والحروش والمدن الأخرى مثل ميلة وجيجل والعلمة Saint-Arnoux وتبسة وغيرهم. (ONASSA.S, 1977, p 268)

إن هذا التواجد لم يكن فعليا وميدانيا إلا في المناطق الكبرى ذات النشاط الاقتصادي والتجاري عبر الموانئ والسكك الحديدية وأما في باقي القرى

والتجمعات الصغيرة فكان رمزيا واسميا، حيث تأسس الفرع على يد مدرس أو ممرن في المدرسة الابتدائية أو الأهلية، وبالتالي لم يكن هناك انخراط ولا اجتماعات. من خلال هذا التواجد لهماكل الفدرالية الاشتراكية، يمكننا القول بأن المدن هي المكان الملائم لكسب المتعاطفين والمناضلين الجدد، بل أن أغلب المهرجانات الدعائية، خاصة أثناء المناسبات الانتخابية، وحتى تلك التي تنظمها الجمعيات والمنظمات التابعة للحزب كحركة الشبيبة الاشتراكية وجمعية المرأة الاشتراكية، تتم برمجتها في المدن.

4- الموقف من الإدماج والتجنيس

يندرج موقف الاشتراكيين من قضية الإدماج والتجنيس ضمن السياسة العامة للحزب الاشتراكي ونظرته إلى المشكل الكولونيا لي، ولذلك فإنه من الصعب فصل مواقف فدرالية الشرق عن مواقف المركزية إلا في حالات قليلة. وفي عدة مواقف، أبدى المسؤولون الفدراليون التزامهم بسياسة الحزب وتوجهاته الفكرية والأيدولوجية ومواقفه السياسية، ومن ذلك مثلا الموقف من الشيوعيين ومن الوطنيين الجزائريين، حيث صدرت تصريحات تتناغم في أغلبها مع موقف الحزب من الأهالي الجزائريين الذين انخرطوا في الحركة الشيوعية، إذ وصفوا بأنهم: "...مجموعة مشكوك في أمرها لا يحملون من الشيوعية إلا الشعار..."

(p 271·ONASSA.S, 1977)

فإذا أردنا تقديم سريع لتلك المواقف من قضية الإدماج، فإننا نلاحظ بأن موقف الاشتراكيين كان خاصا، حيث رأوا بأن ذلك لا يكون دفعة واحدة لكل الأهالي المسلمين، وإنما لابد من توفر مجموعة من الشروط حتى يتم إدماج أولئك

بطريقة تدريجية، وبالتالي فإن العملية تشترط ترقية الأهالي فكريا ومعنويا حتى يكونوا قابلين للإدماج. ولذلك فتحوا الباب أولا أمام العناصر المتعلمة وبعدها يتم حل المجالس الجزائرية وفي المرحلة الأخيرة يتم إلحاق الإداري والسياسي لعمالات الجزائر بالمترربول.

وبالتالي فإن الوصول إلى الإدماج مرهون بتطبيق مجموعة من الإصلاحات، تندرج ضمن حل المشكلة الأهلية بالجزائر وفق خطة تبدأ بإلغاء قانون الأهالي وإلغاء الضرائب العربية وإلغاء قانون الحالة الاستثنائية وتوسيع التكوين الموجه للمسلمين الجزائريين وتطبيق مبدأ المساواة في العمل والأجر وفتح المجال أمام الجزائريين للتمثيل السياسي في المجالس المحلية وفي البرلمان. (AMAIMIA.H, 1990 p 155)

وحسب محفوظ قداس فإن الاشتراكيين قد ذهبوا بعيدا في مشروعهم الإدماجي عندما قالوا بأنه من الخطورة الإبقاء على حضارتين يفصل بينهما ستة قرون. (MAHFOUD.K, 2000 p 143)

أي على الجزائريين قبول الاندماج إذا أرادوا أن يستمر وجودهم وإما الزوال، فليس أمامهم خيار آخر، لأن الحضارة الأوروبية هي الأقوى والأرقى. (AMAIMIA.H, 1990 p 160)

وتميزت سياسة الاشتراكيين في الفترة الممتدة ما بين 1926 و1929 بمعاودة ومحاربة الاتجاه الوطني والاستقلالي عند الجزائريين، ومحاولة طرح الإدماج والتجنيس كسلاح ضد ذلك وبديلا عنه. ودارت مناقشات كثيرة وطرحت أفكار مختلفة حول ذلك، ومن بينها الفكرة التي تعتبر "أن كل ما يجعل الأهالي مختلفا عن الأوروبي يعتبر متوحش، مثل الإسلام واللغة العربية والعادات والتقاليد".

(MAHFOUD.K, 2000، p 143) وجاء رد أحد الأهالي الاشتراكيين على ذلك
_____ على الرغم من اعترافه الضمني بتفوق الحضارة الغربية _____ حيث كتب
أحدهم: "إن تعلم اللغة العربية يمكن المسلمين الجزائريين من فهم الإسلام الحقيقي،
الذي يتنافى مع التعصب والمراطة، بل إنه ينتقدهم بشدة. سيأتون بكثرة وبدون
أحكام مسبقة حول الحضارة الغربية الملهمة. إن اللغة العربية واللغة الفرنسية،
جوهريتين ومن الواجب مواجهة كل من يهملهما أو يحتقرهما."

إن الحديث عن قيم الإسلام واللغة العربية ليس نفسه حول الوطنية، خاصة
تلك التي دعا إليها نجم شمال إفريقيا، حيث شجبت بشدة ووصفت بأنها طوباوية
وخطيرة. وانتقد السيد فيكتور سييلان برنامج الحركة واعتبر "أنه ليس هناك شعب
جزائري بل بالأحرى شعوب جزائرية: قبائل، عرب وبنو مزاب ومنقسمين فيما
بينهم. إن الاستقلال برنامج غير قابل للتجسيد، لأنه هناك سوء فهم واختلاف
وضعف فكري للنخبة الأهلية، بالإضافة إلى الخطر الداخلي والخارجي؛ إن التطلع
للاستقلال معناه الوقوف إلى جانب موسوليني والقياد والآغوات الإقطاعيين.

لقد كان الاشتراكيون يفضلون النخبة المثقفة باللغة الفرنسية على الفئة
المعروفة بـ بني-وي-وي، وعلى الوطنيين الذين يعتبرونهم ديماغوجيين وخطرين.
وفي مقابل ذلك رأوا بأن برنامج المنتخبين واعد ويحمل فكرة المصالحة ويهدف إلى
إيقاظ وتنوير الضمير الجمعي الجزائري. (MAHFOUD.K, 2000، p 143)

تأكدت أيدولوجية الحزب الاشتراكي أكثر في موقفها من الوطنيين منذ
1926 و1927، عندما شجبت الاتجاه الوطني للحركة الوطنية وساندت مطالب
المنتخبين. بقيت هذه القناعة مهيمنة أثناء مؤتمرات الحزب، بحيث نجدها أحيانا

تتجه إلى الدفاع عن إيجابيات النظام الكولونيالي. ففي أكتوبر 1928، عبر سينافراني عن ذلك في معرض انتقاده للتوجهات الشيوعية بخصوص الترحيل، حيث اعتبر الثورة الكولونيالية هي إعلان للثورة العالمية. عندما قال: "إنها واجب الشعوب المتحضرة اتجاه الشعوب غير المنظمة والمتخلفة، إن النظام الكولونيالي واجب وضرورة وحق؛ إنه ظاهرة تاريخية تجاوزت ظاهرة تاريخية أخرى والمتمثلة في الرأسمالية." (p 144، MAHFOUD.K, 2000)

و مع اقتراب الاحتفالات بالذكرى المئوية لاحتلال الجزائر العاصمة، اهتم الاشتراكيون مجدداً بقضية الإصلاحات بالجزائر، حيث رفع اشتراكي أهلي المشكل إلى المؤتمرين أثناء انعقاد مؤتمر ما بين الفدراليات بمزبون كاري (قرب الحراش) في جوان 1929، و طلب منهم عدم إهمال الوضعية الحقيقية للأهالي و ضرورة إعداد ملف وثائقي لتتوير الرأي العام بفرنسا حول القضية الخطيرة التي أثارها الذكرى المئوية و المتمثلة في رغبة الرأسمالية الجزائرية الاستثمار بمصالح الطبقة العاملة الأوروبية و الأهلية، و بالتالي ضرورة التفكير في برنامج إصلاحي.

وعلى إثر ذلك أجرى الاشتراكيون عملية استطلاع للرأي في الأوساط الأهلية حول دور فرنسا بالجزائر، واشتكى الذين أجابوا من نقص المدارس ونظام الحالة الاستثنائية ومدة الخدمة العسكرية وتحديد نزوح العمال إلى فرنسا. وقد خرجت جريدة غدا العامل بخلاصة مفادها أن الجزائريين هذه هي تطلعاتهم: "نحن فرنسيين ونريد أن نكون فرنسيين" ثم تضيف الجريدة: "يحمل الأهلي لفرنسا حبا وطنيا، مثل الطفل لأمه، حبا صادقا مشابه لذلك الذي حرك الشعب الفرنسي اتجاه الشخصية الملكية، إنه حبا عن وعي، لأن فرنسا تحمي الأهالي من القياذ وكبار

المرابطين. إنهم يحبونها اعترافا بالجميل لأنها استبدلت الفوضى بالسلام والقوة
الهمجية بالعدالة". (MAHFOUD.K, 2000، p 144)

واقنع الاشتراكيون في النهاية بأن الإدماج لا يكون إلا للعناصر القابلة
لذلك أي التي تتوفر فيها الشروط، وأما باقي الأهالي فلا بد من تهيتهم حتى
يصبحون قابلين للإدماج.

هذا إذن موقف الاشتراكيين بصفة عامة من قضية الإدماج والتجنيس،
ولتسليط الضوء عن ردود الفعل المحلية بالشرق حول القضية والنقاط المتعلقة بها،
باعتبار أننا ربطناها بالظاهرة الكولونيالية ككل، فإننا أخذنا ثلاثة نماذج هي عبارة
عن آراء لشخصيات اشتراكية محلية، الأول لدومينيك سينافاراني والثاني للفرع
الاشتراكي بمدينة بجاية، وهو في الحقيقة رأي لأهلي اشتراكي كما سنرى، والثالث
رد من اشتراكي أوروبي على اشتراكي أهلي.

يصرح سينافراني في مقال صحفي: "أن الاشتراكيين لا ينتظرون من
روسيا أن تعطيهم التعليمات لاكتشاف المشكلة الأهلية ودراستها واقتراح الحلول
المناسبة لها، والمطالبة الفورية بتحسين أوضاع السكان الأهالي". ويضيف: "أن
الاشتراكيين لم يدخروا يوما جهدهم من أجل تحقيق ذلك، على الرغم من
الصعوبات التي كانوا يواجهونها في كل مرة، سواء من الإدارة أو من الصحافة أو
من خصومهم السياسيين." ثم يواصل: "لقد أسهم الاشتراكيون بدورهم في المطالبة
بإجراء إصلاحات توجه إلى الأهالي، وقد شاركت المجموعة البرلمانية الاشتراكية في
صياغة المشاريع التي تجري مناقشتها حاليا".

ثم ينتقل إلى تفسير صعوبة الظروف المعيشية بالجزائر فيضيف: "بأن الظروف الاقتصادية الصعبة التي تمر بها البلاد هي نتاج لعوامل موضوعية تتمثل خاصة في ظاهرة الجفاف والتزايد الكبير في نسبة النمو السكان لدى الأهالي، وليس بسبب نقل خيرات الجزائر إلى فرنسا وحرمان سكانها منها، فلننظر إلى الميزان التجاري، نجد الجزائر تستورد من فرنسا أكثر مما تصدر."

وعن انجازات فرنسا بالجزائر يقول: "إن فضائل فرنسا أن أعادت الحياة إلى المناطق الصحراوية بحفر عدد كبير من الآبار وغرس الآلاف من أشجار النخيل، مما جعل إنتاج التمور يتضاعف بخمس مرات في فترة زمنية قصيرة..."

أما عن القضية الأهلية، فيقول: "إننا نعترف بوجود تجاوزات ارتكبت في حق الأهالي بل ومازالت بعض الحالات، ولم تبلغ الأمور إلى الحد الذي يرضينا بخصوص وضعية الأهالي، بحسب ما تقتضيه مبادئ المساواة والأخوة والعدالة، ولذلك فما زلنا نعمل ولن ندخر جهدا من أجل تكريس هذه المبادئ في مختلف القوانين. إن استمرار نفوذ بعض الإقطاعيين مرده جهل الأهالي، الذي جعلهم عرضة لاستغلال هؤلاء على الرغم من أن فرنسا الجمهورية قد حطمت جزءا كبيرا منه"

يمثل هذا المقال خط سير موازي لأطروحات الحزب، فهو رد موجه إلى الحركة الشيوعية التي تريد التسويق للعمل الثوري لدى الشعوب المستعمرة من أجل تغيير ظروفها وذلك بإيعاز من روسيا ومن جماعة الأمير خالد. وهذا المقال بمثابة دعوة للأهالي الجزائريين لعدم الانسياق وراء هذا النوع من الدعاية، والاعتراف بجميل فرنسا، وبفضلها عليهم، حيث خلصتهم من الظلم والقمع والمجاعات، وأصبحت الجزائر تنعم بالأمن والاستقرار.

النموذج الثاني هو مساهمة في دراسة المشكل الأهلي، من إعداد فرع بحاية
- الفدرالية الاشتراكية لعمالة قسنطينية، جاء في مقال تحت إمضاء "T"، ويبدو أن
صاحبه هو العربي تظاهرات، لأن نفس المقال وجدناه منشور حرفيا باسمه في نشره
صوت المستضعفين La Void Des Humbles في الأعداد الصادرة في شهري
أكتوبر وديسمبر 1928.

جاء فيه تحليل للمشكلة الأهلية في الجزائر، وفي سياق ذلك تم التطرق
لقضية الإدماج والتجنيس، ومن ذلك هذه العبارات الدالة: " لا يمكن أن يبقى
السعي إلى ترقية الأهالي الجزائريين معنويا وذهنيا مجرد خطاب، لا بد أن يتحول إلى
واقع؟ ... ولكن كيف يمكن الوصول إلى تآلف القلوب؟ يبدو أن أفضل طريقة هي
تحقيق إدماج الأهالي ونجعل منهم فرنسيين فقط."

يبدو من هذه الجمل، حسب ما نعتقد، أن صاحبها يريد أن يكون
الإدماج بارتقاء الأهالي المسلمين إلى الجنسية الفرنسية مع الاحتفاظ بأحوالهم
الشخصية. ويبرر ذلك بأنه لا يمكن بأي حال أن يولد عرق فرنسي على أرض
الجزائر، لأن طبائع الشعوب تشكلها ظروف بيئتها، وفي البلد الواحد نجد
الاختلاف بين الأشخاص باختلاف المناطق، ويستدل في ذلك بأن البريطاني قد لا
يملك أي شيء مشترك مع المارسيلو، ثم يتساءل: "هل اكتسب الأوروبيون بالجزائر
ذهنية جزائرية؟ فإذا كان على الفرنسي الأصل أن يصير جزائريا بالجزائر، فكيف
نريد أن يصير الأهالي فرنسيا".

وقد طرح هذا الرأي كثيرا من طرف الاشتراكيين الأهالي، ويستدلون في
ذلك بحالة الأهالي في المستعمرة الهندية، حيث تمتعوا بالجنسية الفرنسية دون أن

تحرّمهم القوانين من أحوالهم الشخصية، كما كان الحال نفسه بالنسبة لسكان بعض البلديات بالسينغال (LAZARD.C, 1938, p 106) فلماذا لم يطبق ذلك على الأهالي الجزائريين، بل ويطلب منهم التقدم بطلب رسمي لكي يحصلوا على التجنيس وفق ملف إداري وبعد دراسة وقرار رسمي. هذه الإجراءات هي التي يرى فيها العربي تظاهرات وغيره من الاشتراكيين الأهالي الحاجز الأكبر أمام الإدماج، وتحقيق تطور الشعوب المستعمرة. والحل الذي يقدمه هو: "أن يحدث تداخل وتمازج بين الأهالي والأوروبيين، يؤدي ذلك إلى التقليل من الفروقات، وينتهي الأمر بتشكيل شعب ذو طابع جزائري."

وبعد ذلك ينتقل إلى طرح عقبة أخرى في طريق الإدماج ألا وهي إرادة المجموعة الإقطاعية المحافظة على الوضع القائم من أجل إنجاح المشروع الكولونيالي على يد السكان الأصليين باستغلالهم في خدمة الأرض، فليس من مصلحتها أن ينتشر التعليم في الوسط الأهلي، وبالتالي فهم الذين أفسلوا مشروع جول فيري وقاوموه، لأن ما طبق من إصلاح يثير السخرية.

وباعتبار صاحبنا من سلك التعليم فإنه كان على دراية واطلاع على البرامج، حيث يشير أن الشباب الأهلي لا يمكنه أن يتعلم جماليات اللغة الأدبية، ويقتصر الأمر على تعلم لغة فرنسية عملية وتلقي بعض المعارف البسيطة التي تساعد في تعامله اليومي مع الأوروبيين.

وفي الأخير يرى تظاهرات بأنه لا بد من تجاوز مطلب الإدماج في الصورة التقليدية والمتمثلة في الحصول على الحقوق السياسية والمدنية وإنما السعي إلى خلق أمة جديدة يتعايش فيها الفرنسيين المولدون بالجزائر مع الأهالي الذين تشبعوا بالثقافة الفرنسية.

وهذا مقال آخر للسيد جيوفاكيني يرد فيه على السيد زناتي وهو اشتراكي أهلي متجنس، صدر في عدد 5 أبريل 1930 من جريدة الشراة، وجاء هذا المقال في الصفحة الثانية ضمن أحد أعمدة الجريدة والمعنون بالقضية الأهلية. كان عبارة عن ردود جيوفاني على بعض الأفكار والتصريحات التي أدلى بها السيد زناتي في خطاب أمام جمع من المتعاطفين والمناضلين بمدينة عنابة، حيث أبدى حماسة في المطالبة بعدة إصلاحات للأهالي ومنها طبعا إلغاء شروط الإدماج والتجنيس.

اعتبر السيد جيوفاكيني تلك المطالب بدون معنى، لأن السيد زناتي دافع في الوقت نفسه عن بعض الرأسماليين الأهالي الذين يكرسون الاستغلال، وبالتالي فإن ذلك ما هو إلا إعادة لمشروع أحد الرأسماليين الكبار السديين بول رينو وكتولي. ويقول في هذا الشأن: " لقد كنت دائما حذرا من المتطرفين الوطنيين، كما أحذر كذلك من الأهالي الذين يتظاهرون بحب فرنسا أكثر من الفرنسيين! لقد حفظنا بيت القصيد الذي يردده أولئك الذين... يقدون جلود النمر والمشوي للمسؤولين!"

ثم يعاتبه، لأنه كان عليه أن يقوم بعرض برنامج الحزب الاشتراكي، الذي كان له الفضل وحده في الدفاع عن الأهلي البسيط والعمل على إدماجه ضمن أهل الثقافة والحضارة، من الناحية السياسية والاجتماعية والاقتصادية. فإذا كان حقا أن السيد زناتي أو أي أهلي آخر يريد ترقية بني جلدته وتحريرهم من استغلال الرأسمالية فما عليهم إلا الالتفاف حول الفروع الاشتراكية والنضال في صفوفها وتقوية دورها، هذا هو المطلوب. ثم يخاطبه: " لا بد أن نكون صرحاء وصادقين وواضحين في مواقفنا: هل أنت مع أو ضد الاشتراكية؟ هل أنت مع أو ضد

أطروحات السيدين مورينو و كتولي؟ إنك تعلم أنه لا يمكننا إدخال قدمين في حذاء واحد! ... يا حسرتاه أن نرى كل هذا الذكاء يوضع في خدمة قضية فاسدة!"

كان هذا الرد قويا، ويكشف لنا أن سياسة الإدماج لم تكن تسير بشكل متناسق ومنهجي حتى داخل الحزب الاشتراكي وهذا دليل على أنه لم يكن هناك برنامجا اشتراكيا وإنما عبارة عن أفكار ودعوات ومبادرات لهؤلاء القياديين المحليين من تلقاء أنفسهم، يطلقونها كلما كانت هناك مناسبة تقتضي العودة والتذكير بالإدماج والتجنيس مثل المواعيد الانتخابية، وبالتالي لم تكن هناك استمرارية واستغراق. بالإضافة إلى ذلك فإن الفدرالية كانت تسير في فلك السياسة العامة التي يرسمها الحزب في مؤتمراته وندواته، وفي كثير من الأحيان نجدهم يريدون الحفاظ على الوضعية المريحة خاصة إذا تعلق الأمر بالانتصارات في الاستحقاقات الانتخابية مثلما حدث مع وصول التحالف اليساري إلى السلطة والنجاح الباهر الذي حققه الاشتراكيون، وأثناء ذلك نجدهم قد أيدوا السياسة الإدماجية التي عرضتها حكومة الجبهة الشعبية.

لم يحمل الاشتراكيون بالشرق الجزائري مشروعا إدماجيا متكاملا وراقيا من حيث الطرح والفكر والتطبيق، على غرار المشاريع التي أطلقت ما بين الحرين وتمت مناقشتها في البرلمان الفرنسي. أو على الأقل المطالبة بتطبيق القوانين التي تنظم هذه العملية وهما قانون السيناتور كونسيلت وقانون فيفري 1919، أو البحث عن أسباب عزوف الأهالي الجزائريين عن التجنس واقتراح حلولاً عملية لذلك. نعتقد أن هؤلاء كانوا ضعاف أمام سلطة وسطوة الكولون، الذين سيطروا على كل الهيئات الإدارية بالجزائر. فلماذا لم يصروا ويناضلوا من أجل الإدماج والتجنيس

الإدماج والتجنيس في أدبيات فيديرالية قسنطينة الاشتراكية في ما بين
الحربين 1919-1939: تجديد في المشروع أم تغريد خارج السرب؟

للأهالي الجزائريين أم أنهم كانوا غير متحررين من العنصرية العرقية الكامنة في
اللاشعور؟

المراجع

1. الدكتور تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ط 2، الجزائر 1981، ص 112
2. Claude LAZARD, Accession des Indigenes Algerians à la Citoyenneté Française, LIBRAIRIE TECHNIQUE ET ÉCONOMIQUE 3, Rue Soufflot, PARIS - 5* 1938, p 86
3. ¹Alexandre Jüving, LE SOCIALISMEEN ALGERIE, ANCIENNE MAISON BASTIDE - JOURDAN JULES CARSONEL ,
4. ALGER 1924, PP 114-115
- Camille et Théophile Deleuze, Hugon, Richard, Castor, Pely et Massia, de Constantine ; Gaston Fenech, de Philippeville ; Mariani et Haublmann, de Sétif ; Brocard et Cianfarani, de Bougie ; Allouche et Giovachini, de Bône ; Ledrappier, de Souk-Ah ras.
5. Onassa, Siari, Presse socialiste et implantation de la S.F.I.O dans l'Est Algérien à la veille du front populaire, in revue algérienne des sciences juridiques économiques et politiques, volume 19 n ° 02 juin 1977. P 267
6. جريدة الشراة L'étincelle ليوم 20 جانفي 1928 ، نقلا عن وناسة سياري ص 267
7. «En Algérie, le communisme est mené par quelques louches indigènes n'ayant du communisme que l'étiquette. En réalité, ils sont essentiellement anti-français, super-nationalistes, espérant arriver par le massacre collectif des Européens – communistes y compris – à instaurer un royaume musulman nord-africain qui leurs assurerait de hautes sinécures grassement rétribuées. Il est à espérer qu'on y verra clair à temps, pour les empêcher d'arriver à leurs fins »
8. المجالس الجزائرية: المقصود بها الحكومة العامة و المندوبيات المالية و مجالس الجماعة.
9. Amaimia, Houcine, La Fédération Socialiste de Constantine dans l'entre deux guerres « 1919-1939 » Thèse de troisième cycle sous la direction de Bechir Tlili et Abdeslem Ben Hmida, Université de Tunis 1989-1990, p 155
10. Mahfoud Kaddache, Histoire du nationalisme algérien, t1, EDIF 2000, p 143
11. Amaimia, Houcine ibid p 160
12. غدا العامل Demain le travailleur نقلا عن محفوظ قداش، المرجع نفسه ص 144
13. جريدة غدا العامل Demain le Travailleur , du 21/03/1925
14. جريدة غدا العامل ص 2، Demain le Travailleur , du 31/07/1926
15. Claude LAZARD, Op-cit, p 106

الإدماج والتجنيس في أدبيات فيديرالية قسنطينة الاشتراكية في ما بين
الحربين 1919-1939: تجديد في المشروع أم تغريد خارج السرب؟

16. مثل مشاريع :

Moutet, 22/06/1926, Soulier, 11.03/1930, Violette, 03/07/1931, Guemut,
30/03/1933, Cuttoli, 13/06/1935, Taittinger, 08/12/1936, Blum-Violette,
30/12/1936, Doriot, 02/02/1937, Saurin , janvier 1937, Devaud, Fevrier 1938,
Cuttoli 28/02/1938